

التبيان في تفسير القرآن

(371) والرزق العطاء الجاري يقال: رزق السلطان الجند، إلا أن كل رزق، فإِ رازق به،
لأنه لو لم يطلقه على يد الإنسان لم يجر منه شيء. والواحد منا يرزق غيره إلا أنه لا يطلق اسم
رازق إلا على إِ، كما لا يقال: (رب) بالاطلاق إلا في إِ وفي غيره يقيد، فيقال رب الدار ورب
الفرس. ويطلق فيه، لأنه يملك الجميع غير مملك، وكذلك هو تعالى رازق الجميع غير مرزوق،
ولا يجوز أن يخلق إِ حيوانا يريد تبقيته إلا ويرزقه، لأنه إذا أراد بقاءه فلا بد له من
الغذاء، فإن لم يرد تبقيته كالذي يولد ميتا فإنه لا رزق له في الدنيا. وقوله " أم من
يملك السمع والابصار " يعني من الذي له التصرف فيها بلا مانع يمنعه منها وإن شاء اصحها
وإن شاء امريها. و " من يخرج الحي من الميت " معناه من الذي يخلق الحيوان ويخرجه من
أمه حيا سويا إذا ماتت أمه " ويخرج الميت من الحي " يعني من يخرجه غير تام ولا بالغ حد
الكمال. وقيل: معناه أنه يخرج الحي من النطفة، وهي ميتة ويخرج النطفة من الحي. وقيل:
يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن. و " من يدبر الأمر " أي ومن الذي يدبر جميع
الأمور في السما والأرض؟ وليس جواب ذلك لمن انصف ولم يكابر إلا أن يقول: إِ الفاعل لجميع
ذلك. وإذا قالوا ذلك واعترفوا به قيل لهم " أفلا تتقون " ومعناه فهلا تتقون خلافه وتحذرون
معاصيه؟ وفي الآية دلالة على التوحيد، لأن ما ذكره في الآية يوجب أن المدبر واحد ولا يجوز
أن يقع ذلك إتفاقا، لاحالة العقل ذلك، ولا يجوز أن يقع بالطبيعة، لأنها في حكم الموات لو
كانت معقولة، فلم يبق بعد ذلك إلا أن الفاعل لذلك قادر عالم يدبره على ما يشاء، وهو
إِ تعالى، مع أن الطبيعة مدبرة - مفعولة - فكيف تكون هي المدبرة. وإنما دخلت (أم) على
(من) لأن (من) ليست أصل الاستفهام بل أصله الالف، فلذلك جاز الجمع بينهما.